



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

سبب تفشي وباء فيروس كوفيد - ١٩ في البلدان ذات السمات الثقافية غير المقيدة

ميشيل جيلفاند



ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2021

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

سبب تفشي وباء فيروس كوفيد - 19 في البلدان ذات السمات الثقافية غير المقيدة

ميشيل جيلفاند *

يُظهر البحث نجاح المجتمعات «الأكثر تقيداً بالقانون» في انحسار انتشار فيروس كورونا - وأن على بقية المجتمعات أن يتعلموا التكيف لدر هذا الوباء»

مع تزايد عدد القتلى إلى أكثر من 2 مليون وإصابة ما يقرب من 100 مليون شخص في جميع أنحاء العالم، لا يزال فيروس كوفيد-19 يعيث الفوضى حتى مع تقديم اللقاحات. ومع ذلك، فإن توزيع الوفيات في بلدان العالم غير متساوية على الإطلاق. إذ قد تغلبت بعض الدول على الوباء بنحو فعال؛ بينما تعرضت البلدان الأخرى لضربة أقوى في انتشار المرض. فقد سجلت اليابان - بنسبة سكانية تصل لـ 126 مليون مواطن ياباني - ما يزيد عن 5000 حالة وفاة، في حين عانت المكسيك - مع عدد سكان متطابق تقريباً - من أكثر من 150.000 حالة وفاة والعد مستمر.

ما الذي يفسر هذه الاختلافات الصارخة؟ هل هي الثروات؟ قدرة القطاع الصحي؟ السن؟ أم المناخ؟ إلا أنه اتضح أن دموية فيروس كوفيد-19 اعتمد على شيء أبسط وأكثر عمقاً: الاختلافات الثقافية في رغبة المجتمعات في اتباع القوانين.

لدى جميع الثقافات أعراف اجتماعية، أو قواعد غير مكتوبة للسلوك الاجتماعي. نحن نلتزم بمعايير الملابس، وتأديب أطفالنا، ولا نندافع في الطرق المزدحمة ليس لأنها قوانين تشريعية، بل لأن هذا التصرف يساعد مجتمعنا على التقدم. أظهر علماء النفس أن بعض الثقافات تلتزم بالأعراف الاجتماعية بنحو صارم؛ بينما البعض الآخر أكثر تحراً - وعلى استعداد لخرق القوانين.

هذا التمييز، الذي لاحظته هيروودوت¹ لأول مرة، يمكن قياسه في العصر الحديث من قبل علماء النفس وعلماء الأنثروبولوجيا. مقارنة بالولايات المتحدة والمملكة المتحدة وإسرائيل وإسبانيا وإيطاليا، فقد ثبت أن دولاً مثل سنغافورة واليابان والصين والنمسا أكثر تقيداً، وهذه الاختلافات

1. هيروودوت أو هيروودوتس: كان مؤرخاً إغريقياً يونانياً آسيوياً عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. عُرف هيروودوتس بفضل كتابه تاريخ هيروودوتس الذي يصف فيه أحوال البلاد والأشخاص التي لاقاها في ترحاله حول حوض البحر المتوسط.

* أستاذة في جامعة ميريلاند.

ليست عشوائية. فقد أظهرت الأبحاث في كل من الدول القومية والمجتمعات صغيرة الحجم أن المجتمعات التي لها تاريخ من التهديد المزمّن - سواء كانت كوارث طبيعية أو أمراض معدية أو مجاعات أو غزوات - تضع قواعد أكثر صرامة تضمن النظام والتماسك. وتطبق تلك المجتمعات شعار «اتباع القواعد يساعدنا على النجاة من الفوضى والأزمات». بينما على الجانب الآخر، يمكن للمجموعات الأكثر مرونة والتي واجهت تهديدات أقل أن تكون أكثر تساهلاً.

لا يوجد مجتمع أفضل أو أسوأ في الحالة الطبيعية - إلى أن ظهر الوباء العالمي. وفي شهر آذار بدأت كاتبة المقال تشعر بالقلق بأن الثقافات الأكثر تحراً قد تخالف القوانين، وأنها ستستغرق وقتاً أطول لكي تلتزم بتدابير الصحة العامة، التي قد تترتب عليها عواقب مأساوية. وكانت تأمل الكاتبة بأن تصبح هذه الثقافات أكثر تشدداً، إذ أن جميع نماذج الكمبيوتر قبل فيروس كوفيد-19 اقترحت أنها ستتغير.

إلا أن تلك الثقافات لم تتغير. إذ توصل البحث الذي تتبع أكثر من 50 دولة، والذي نُشر في مجلة لانسييت بلانيتاري هيلث (Lancet Planetary Health)، إلى أن في البلدان ذات السمات الثقافية غير المقيّدة كان عدد حالات الإصابة خمسة أضعاف عدد الحالات في البلدان ذات السمات الثقافية المقيّدة، وعدد الوفيات أكثر من ثماني أضعاف.

لم يؤثر الواقع أبداً في هؤلاء السكان لأن الأشخاص في الثقافات التي تتكيف مع مستويات خطر طفيفة لم تستجب بسرعة «لإشارة التهديد» التي يجسدها الوباء عند حدوثه. يمكن أن يحدث هذا في الطبيعة أيضاً. إذ تعد الحالة الأكثر تطابقاً هي انقراض طائر الدودو الشجاع في موريشيوس، الذي تطور وتكاثر بدون وجود حيوانات مفترسة، ومع أول اتصال له مع البشر تعرض للانقراض في غضون قرن فقط.

تُظهر قصة طائر الدودو أن الصفات التي تتشكل في بيئة واحدة وثابتة يمكن أن تصبح عبئاً حينما تتغير البيئة. هذا ما يسميه العلماء عدم التطابق التطوري، وهو ما أدى إلى الآلاف من الوفيات غير الضرورية نتيجة فيروس كوفيد-19 في المجتمعات ذات السمات الثقافية غير المقيّدة. وبطبيعة الحال، فإن هذه المجتمعات لن يكون مصيرها الاختفاء من على وجه الأرض، ولكن معاناتهم المستمرة مع جائحة عمرها عام فقط تُظهر الصعوبات التي يواجهونها في التكيف.

كان الفيروس فعالاً بنحوٍ خاص في تحويل نزعة بعض المجتمعات لخرق القوانين. وأفضل

الأمثلة على ذلك ما حدث في المجتمعات الأمريكية، التي لم تتبع القوانين التي فرضت نتيجة تفشي الوباء، وبدلاً من ذلك، واصل عدد كبير من المواطنين إقامة الحفلات والتسوق بلا أقنعة طبية مخصصة. بنحو عام، سخر المجتمع الأمريكي من الفيروس. إن تحفيز شعور الخوف والقلق لدى تلك المجتمعات غالباً ما يكون بطريقة خاطئة، إذ يخاف الناس من إجراءات فرض حظر تجوال وقوانين ارتداء الأقنعة الطبية أكثر من الفيروس نفسه.

جعلت هذه الاختلافات الثقافية من الصعب تمييز إشارة التهديد. وأدت تصريحات الرئيس السابق ترامب إلى عدم شعور الملايين من الأمريكيين بالتهديد الذي يشكله الفيروس. إذ بعد وفاة أكثر من 300 ألف أمريكي، قال ترامب في 10 آذار 2020: «تحلّوا بالهدوء، سيزول المرض»، واشتكى من مبالغة مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها في قلقهم.

وفي بريطانيا، ساعد رئيس الوزراء البريطاني، بوريس جونسون، على كبت رد فعل الخوف في المملكة المتحدة. مع ارتفاع الحالات في شهر آذار 2020، قال جونسون: «كنت في مستشفى الليلة الماضية حيث كان هناك عدد قليل من مرضى فيروس كورونا، ولقد صافحت الجميع».

ولتقليل أعداد الوفيات للمصابين بفيروس كورونا، ولتجهيز الشعوب للتهديدات الجماعية المستقبلية، على الدول ذات السمات الثقافية غير المقيّدة التكيف والاستجابة لإشارات التهديد الصحيحة. وتقرّح الباحثة اتباع ثلاثة إجراءات أساسية تمكننا بالبدء ببناء ذكاء ثقافي للتغلب على التهديد.

أولاً، نحتاج إلى تغيير الطريقة التي نتعامل بها على وفق نوع التهديد الذي نواجهه. نحن نستجيب للتهديدات الحية والملموسة -مثل الحروب- بنحوٍ سريع. أمّا فيما يتعلق بالأمراض والجراثيم غير المرئي، فمن السهل تجاهل التهديدات التي تفرضها على الأفراد. يحتاج مسؤولو الصحة العامة إلى توضيح مخاطر فيروس كوفيد-19. ومع ذلك، فإن تخويف الناس يمكن أن يأتي بنتائج عكسية: «فحينما نشعر بالعجز، يرى علماء النفس أننا نتخذ موقفاً دفاعياً سلبياً. ولإقناع الأفراد بتغيير سلوكهم، يجب أن نكون صريحين بشأن أعراض الفيروس».

ثانياً، يجب أن نوضح أن إجراءات الحظر والتضييق مؤقتة. حينما يعلم الأفراد منتهكي القوانين والضوابط أن لهذه الإجراءات نهاية محددة، حينها سيمثلون لتلك الإجراءات. فكلما تقيّدنا بالقواعد الصحية المفروضة بنحوٍ أكبر، كلما قللنا من التهديد بنحوٍ أسرع، كلما استعدنا

حریتنا بنحوٍ أسرع. ما تحتاجه جميع الدول هو ما نسميه بالبراعة الثقافية: القدرة على ضبط التشدد بالإجراءات أو تخفيفها بناءً على مدى خطورة الظروف، وتعد نيوزيلندا أفضل مثال على ذلك. إذ يشتهر النيوزلنديون على أنهم شعب لا يتقيد بالقوانين والأنظمة، إلا أن حكومتهم اتخذت من أكثر الإجراءات صرامة في العالم في وقت مبكر - وخففوا من أطباعهم المخالفة للقواعد والأنظمة، وهو ما حد من وفيات فيروس Covid-19 إلى 25 فقط وفاة فقط.

أخيراً، نحتاج إلى إدراك أننا جميعاً مشتركون في هذا. تكلمت صحيفة واشنطن بوست عن بلدة صغيرة تجسد هذا النهج. لعدة أشهر، كانت جزيرة طنجة في ولاية فيرجينيا خالية من أي إصابات. ولكن حينما تفشى المرض، توحد جميع سكان هذه المنطقة في عكس صورة واضحة وقوية لامثالهم لقواعد الصحة العامة.

المصدر:

<https://www.theguardian.com/world/commentisfree/2021/feb/01/loose-rule-breaking-culture-covid-deaths-societies-pandemic?s=03>